التجربة النقدية
عند الدكتور حسن بن فهد الهويمل

بقلم: د . سلطان بن سعد القحطاني•

كانت الدراسات الأدبية النقدية - على وجه الخصوص - في أدبنا العربي، في بداياته تقوم على الانطباع الشخصي أكثر مما تقوم على التحليل والدراسة المستقيمة المفصلة، فالدارس في ذلك الوقت يسلك واحدا من طريقين في دراسته، إما يقلد من سبقه من الدارسين العرب، ويعيش بفكرهم، في القديم والجديد، ويطبق ما كانوا يدرسون على دراسته، فتأتي صورة مشوهة، وابنا غير شرعي منسوبا لغير أبيه، وإما يصدر أحكامه بناء على ذوقه ومزاجه الخاص، يمدح من يشاء ويذم من يشاء، رائده في ذلك ما يراه هو وليس ما يشترك مع غيره في حكم نقدي مقنن.

• كلية الآداب - جامعة الملك سعود بالرياض.

وبالرغم من ذلك كانت تلك الدراسات والانطباعات الشخصية مجال دراسات الجيل الثاني من الدارسين والنقاد، حيث قامت دراساتهم على منهج النقد الأدبي الحديث، مستفيدين من دراسة المذاهب والنظريات العالمية الحديثة، منهم من درسها وقرأها بلغاتها الأصلية، ومنهم من قرأها مترجمة ترجمة اصطلاحية علمية كانت تعوز الدارسين من قبلهم، فهناك من الجيل الأول من خلط بين مذهبين، ومنهم من اعتبر المذهب الواحد مذهبين، نظرا لعدم معرفة المصطلح المترجم من بين لغتين، مثل(الرومانسية والرومانتيكية) بين الإنجليزية والفرنسية، وهو مذهب واحد، وبعض المقارنات غير الواردة - بالطبع - كمقارنة شاعر حديث بفحل من الشعراء القدامى، وبعض المحدثين، وإطلاق الألقاب على الشعراء، من وجهة نظر خاصة، إما إعجابا بالشاعر وإما عنصرية، وإما إقليمية...إلخ.

وكان جزء كبير من عمل النقاد من الجيل الثاني إصلاح هذه الأخطاء المنهجية، وتصويب تلك المبالغات بناء على منهج علمي مقنن. من هذا الجيل الدكتور حسن الهويمل. الذي بدأ حياته العلمية تقليدية في الكتّاب، ثم طورها بالقراءة الذاتية، ثم الدراسة الأكاديمية، ومن خلال هذه المراحل تكونت تجربته العلمية على نطاق أوسع، جمع فيه بين القديم والجديد، وقليل هم الذين جمعوا بين التيارين من أبناء الجيل الثاني، بل كرر البعض منهم أخطاء الجيل الأول، باتخاذه منهجاً مغايراً للقديم، إما جهلاً منه بقيمة القديم، وإما تجاهلاً لذلك القديم، ولم يحقق توازناً بين الطرفين.

والدكتور الهويمل هضم القديم وعرف قيمته وقيّمه على أسس تناسب وضعه، من حيث الزمان والمكان وثقافة الشاعر والكاتب، ثم أبدى وجهة نظره بطريقة توخى فيها العدل بين الفروق الفردية والجمعية والمتغيرات الثقافية، من حيث الزمان فكانت له مواقف محددة واضحة المعالم بين القديم والجديد، والمكان وثقافة المنشأ، بين التراث والحداثة، وبين الأصالة والمعاصرة، وإن كان في بعض الأحيان يتخذ موقفاً متشدداً نحو الحداثة، لكنه موقف أقرب إلى الدفاع منه إلى الهجوم.

وقد دأب على البحث العلمي على مدى خمس وثلاثين سنة، يجد الباحث في دراساته نوعاً من التجديد والمتابعة لكل جديد يظهر في الساحة العربية والسعودية على وجه خاص، فأثرى ببحوثه المكتبة المحلية، وسد الكثير من الفراغات في كثير من الحقول، وكان له السبق في تحليل وإصلاح الكثير من المفاهيم العلمية التي وقع فيها بعض الباحثين - بقصد أو بغيره - فصارت بحوثه مرجعاً للباحثين والدارسين.

البدايات

لم تكن بداية حسن بن فهد الهويمل مختلفة عن بداية أقرانه في ذلك الزمن الذي ظهر فيه على الحياة، وأخص بذلك الحياة العلمية، فمعظم أقرانه خرجوا من التعليم غير النظامي (الكتّاب) واقتصر البعض منهم على وظيفة التعليم بعد المرحلة الإبتدائية، ومنهم من كانت طموحاته عند هذا المبلغ من العلم، مكتفيا بوظيفة يعيش منها، وقد يسندها بعمل تجاري أو كسب إضافي في أي مكان يراه مناسبا، حسب اتجاهات الطموح، في حدود قدراته العقلية، واستعداده الفطري.

ولكن ماذا عن حسن الهويمل، ومن يحتطبون معه في حبل واحد، ويغامرون في سفينة واحدة، في بحار العلم والمعرفة غير المحدودة، هل اكتفوا بما حصلوا عليه من علم أهلهم لامتلاك رقم وظيفي في ديوان الدولة يكفل لهم معيشة، كغيرهم من طبقات الموظفين إلى ما يشاء الله؟؟.

قد تكون الإجابة منطوية في ثنايا السؤال، فلم يكتف واحد منهم بما حصل عليه مثل زملائه الآخرين، بل إن حب التزود من المعرفة ومصاحبة الكتاب الذي وجدوا فيه من العلم ما لم يجدوه في تعليمهم المتواضع، حدا بهم إلى محاكاة الآخرين من العلماء وأصحاب الدرجات العالية، من المدرسين والمؤلفين والعلماء، في زمن كانت الطموحات فيه محدودة بوظيفة يتدرج فيها صاحبها بسرعة إلى منصب أعلى يسد الفراغ في دواوين الدولة الفتية، وبالطبع، لم تكن هذه طموحات هذا النوع من أصحاب الهمم العالية، فكان الصبر رائدهم، والمثابرة ساعدهم، ونجمة الطموح بعيدة عنهم، فشدوا الرحال واستعدوا بالعدة لبلوغ الهدف، متكلين على الله، وكأن المتنبي يحدو لهم بصوته قائلاً:

إذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم

وهم يضربون أكباد الإبل في فيافي الصحراء يستوردون ماء دونه شوك القتاد، لكن الهمة والإرادة أكبر من العقبات، وكلما تعدى عقبة تهيأ للأخرى، حصل على الثانوية، ولم تكن هي منتهى طموحه أو مبلغه من العلم، فتهيأ لخوض معركة جديدة في التعليم العالي، فأكمل الدراسة الجامعية، منتسبا إلى كلية اللغة العربية، كما كان منتسبا في الثانوية، وتقدم للتدريس في المرحلة الثانوية، ثم تشجع لخوض تجربة جديدة في الدراسات العليا،

فانتسب إلى الأزهر في القاهرة ليحصل منه على درجة الماجستير، في موضوع (اتجاهات الشعر المعاصر في نجد) حيث لم تكن الدراسات العليا قد فتح بابها في كلية اللغة العربية، وعندما فتح باب الدراسات العليا وأصبحت هذه الكليات تحت مسمى (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) سجل للدكتوراه، وحصل فيها على الدرجة عن رسالته (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر).

وإذا كانت الدراسات العليا قد أعطته مزيدا من القراءة الجادة والتأكد من اتباع الطرق الصحيحة في البحث العلمي، فقد كان تأسيسه الثقافي متأصلا منذ صغره، مما أضاف إلى التكوين المعرفي إضافة تأتي في المقام الأول، وسنوضحها في ثنايا البحث لاحقا.

وفي ختام هذه التوطئة، يجب علينا ألا نهمل عاملا مهما في حياة الهويمل ومن درج مدرجه، وهو ممارسة التعليم في جميع مراحله، من الابتدائية إلى الجامعة، فالتدريس عامل حفز يدخل في صلب المهنة، من تحضير ومراجعة وإحياء للمعلومات باستمرار، إضافة إلى ملاحقة كل جديد في المناهج الدراسية ونقد ما فيها من القصور، هذا هو الموقف المثالي العام، لكنه لا يتوفر لكل مدرس، ما لم تكن طموحاته أكبر من مهنته.

التكوين:

ظهر حسن الهويمل على الدنيا ومعه صديق لازمه منذ الصغر(الكتاب) ولسان حاله يقول:(وخير جليس في الزمان كتاب)، وتكونت ثقافته بطريقة ذاتية، وأجمل ما في حياة الإنسان قيامه بفعل من تلقاء نفسه، يأخذ ما يشاء ويترك ما يشاء، فالنفس مجبولة على العصيان فيما تؤمر به، ومن يقوم بفعل هو صاحبه يصبح جزءا من ذاته، يحافظ عليه ويتعهده بالرعاية والعناية، وفرق بين المهنة والهواية، فالمهنة التي لا تقترن بهواية وميول خاصة، لا تمكن صاحبها من الإبداع أيا كان نوعه.

والدكتور حسن الهويمل بدأ حياته العلمية بالقراءة الحرة (غير المنهجية) وهذه هي الطريق لكل المثقفين، فالقراءة الحرة تأتي نتيجة ممارسة ذاتية ودافع حر غير مقيد، وكل مثقف بدأ حياته العلمية الثقافية من هذا المنطلق، يقرأ في كل شيء يقع تحت يده، وبالتالي يكون ثقافة شمولية واسعة، تمكنه من التعرف على أغلب الفنون والعلوم، ويصبح التخصص الذي يميل إليه سهلا فيما بعد، فالعلوم مرتبطة ببعضها، إما ارتباطا كليا، وإما جزئيا، لكنها في النهاية تسهل سبيل القارئ إلى ما يريد تتبعه في المستقبل، وهذا ما فعله، أو قدر له أن يفعله، في بداية الحياة الثقافية، والهويمل من هذا النوع الذي أخذ في تثقيف نفسه، منذ أن كان مدرسا في المرحلة الإبتدائية، متدرجا في الدراسة عن طريق الانتساب منذ الثانوية إلى الدكتوراه.

عبدالقدوس الأنصاري

وقد روى ذلك في إحدى لقاءاته الصحفية:«قصتي مع الدراسة لا تختلف عن قصص لداتي ليس فيها ما يثير، وليس فيها ما يفيد، من الكتّاب إلى الابتدائية، ومن الابتدائية إلى ما يليها في سلم التعليم. إنني عملت في التدريس منذ الابتدائية وأكملت دراستي بالانتساب وارتبطت بالقراءة (غير المنهجية) منذ الصغر، وكان الكتاب عشقي الأول والأخير لا أرى الحياة إلا من خلاله، ولا أجد الراحة إلا في أفيائه، ومن ثم تحولت القراءة من الهواية إلى الإدمان، وتلك وصيتي لأبنائي وطلابي.. القراءة وليس غير»[1].

وكانت بداية الهويمل مع الحياة النقدية، بل التجربة الأولى كما ذكرها مناقشة قاسية لشاعر كان يشار إليه بالبنان، ويعتقد الكثير من محبيه أن أحداً لا يجرؤ على مس كلمة مما يقول، لكن الشاب المتحمس للنقد والإصلاح الفني بكل ما تعني الكلمة من معنى اقتحم هذا السور العالي إلى حديقة ذلك الشاعر، بعد أن اطلع على ديوانه، حيث قدم الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري الديوان لذلك الشاب المندفع في بداياته الأولى مع القراءة النقدية، متأثراً بنقد عباس محمود العقاد ومدرسته النقدية الجادة مما أغضب الأنصاري، وخاب ظنه فيما كان يظن في هذا الفتى، الذي خالف ناموس النقد في ذلك الزمان، وبالتالي يعتذر الأنصاري عن نشر المقال في مجلة (المنهل) ولم يكن ذلك قد سبب حرجاً ويأساً للهويمل، فقد بعث بالمقال إلى جريدة (الرائد) فنشرت الدراسة كاملة. يقول عن هذا الموضوع:

«المعركة الأولى كانت قبل أربعين سنة مع الشاعر الكبير محمد بن علي

السنوسي[*] كنت يومها في عنفوان الشباب وفي بدايات القراءة ومن ثم قسوت عليه وقامت بيني وبين المرحوم عبدالقدوس الأنصاري جفوة بسبب الحدة في نقد السنوسي، وكان - رحمه الله - قد أهداني ديوان (القلائد) لقراءته وكتابة دراسة عنه، ولما لم ترق له اعتذر بلطف عن نشرها، فبعثت بها لجريدة «الرائد» فنشرت بكل ما فيها من تحامل، كان ذلك عام واحد وثمانين وثلاثمئة وألف للهجرة على ما أذكر»[٢].

هكذا كانت بداية الهويمل - كما يذكر - بداية المثقف المتأثر بقراءاته النقدية لكبار النقاد والدارسين العرب من جيل النهضة، وبالمدارس النقدية التي ظهرت في تلك الفترة، الإحياء والديوان وأبولو، ومدرسة المهجر، مضافا إلى ذلك حماس الشباب واندفاعه، لكنها تجربة - بالرغم من بدائيتها- إلا أنها أعطت الشاب درسا في كيفية التعامل مع النصوص الأدبية، من حيث الزمان والمكان وتجربة المبدع، والفرق بين الثقافة العامة والثقافة العلمية، والفرق بين الباحث والمبدع، والشروط والطرق التي يتبعها كل منهما في إنتاجه الفني.

ويؤكد الهويمل في الكثير من أحاديثه ومحاضراته ولقاءاته على التمسك بالنقد الأدبي، ووضع الشيء في مكانه الصحيح، وينبذ الخروج من الجدل إلى الهجاء ومن الموضوع إلى الشخص المنقود، ومن الموعظة الحسنة إلى الغلظة[٣].

ومن هذه الأحاديث يتضح لنا أن الهويمل يعترف ببداياته النقدية والعلمية، على أنها صورة للآخر، وهذا - في اعتقادي- من المسلمات التي مر بها كل باحث وأديب وناقد، حتى استوى

محمد بن علي السنوسي

■ يدعو الهويمل إلى التمسك بأصول النقد الأدبي واحترام الجدل ونبذ الهجاء..

زرعه على سوقه، وآتى ثماره ناضجة، ونظر للنصوص بعين تختلف عن عينه السابقة، فقلّت عنده النظرة الذاتية بما عادلها من النظرة الموضوعية، بناء على التجارب العلمية الفنية، وأصبح يتعامل مع النصوص - لا أقول بمعزل عن صاحبها- لكنها الأساس في الدرس النقدي.

الهويمل والنقد الأدبي

من المسلمات الأدبية والعلمية، وما يحيط بحياة البشر - بصفة عامة - عامل التغيير و التبديل والتطوير...، ونجد أصنافا من البشر لهم تجارب متوافقة ومتغايرة في أساليبهم في الحياة ومشاريعهم، وسنقتصر على المشروع النقدي، لنجد عدة أصناف من النقاد أصحاب المشاريع النقدية، التي بذلوا فيها مزيدا من الوقت والجهد، وسأقصر الحديث على ثلاثة منهم فقط:

الأول أصحاب مشاريع تخلصوا منها إلى غيرها، منهم من نجح في مشروعه الجديد ومنهم من لم ينجح، وحاول في تجربة وثالثة، ورابعة.... إلخ، ونجح في بعضها وأخفق في أخرى.

والثاني، تجاوز مشروعه الأول من أول وهلة إلى مشروع آخر، وبقي عليه، لأنه وجده خيرا من الأول، وقيم نفسه فوجد قدراته تؤهله للثاني أكثر من تأهيله للأول.

والثالث، ثبت على مشروعه الأول، وصار يطوره ويجدد فيه، ويتابع كل جديد يطرأ على هذا المشروع من إضافات وتحسينات. ولا بد أن سؤالا قفز أمامنا، يقول: من أي صنف من هذه الأصناف الثلاثة يكون الدكتور حسن الهويمل؟

يتضح من مناقشات حسن الهويمل، في الصحافة، ومن خلال مقالاته وبحوثه ومحاضراته، مدى ولعه بالتعلم والاطلاع على كل جديد في الساحة الأدبية والعلمية، وتنمية معلوماته وتطويرها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه صاحب مشروع متنام في أطوار متتالية، يعتمد الأول منها على ما تقدم من ثقافة علمية، فقد حاور كبار العلماء[٤] والأدباء والنقاد، وجادلهم بطرق علمية، وكشف عن بعض الأخطاء العلمية في بحوثهم، من منطلق علمي، معتمدا في ذلك أقوال السابقين والمحدثين، واقتنع بالآراء التي يراها صائبة في نصوص البعض، وخالف الآراء التي جاءت بعكس ذلك، وهذا دليل على تطلعاته في الحياة العلمية وعدم قناعته بما

وصل إليه من علوم استجدت عليها علوم أخرى، ويعلن استعداده للعفو عما بدر منه من أخطاء، وأن يده مبسوطة لكل من يجادله، وصدره مفتوح لكل من يحاوره. كما تقبل نقد الآخرين في بعض التجاوزات التي استدرك بعضها على الدارسين السابقين، ووقع فيها في بعض مقالاته المجاملة، وليس من عادته أن يجامل في الحق، كما يردد دائما[٥] وإن غضب من نقده - غير المجامل - شاعر درس شعره، وأبدى فيه رأيه، وهو حق من حقوق الناقد، وليس شرطا من شروط الجودة والرداءة، فموازين النقد تقريبية، وأحدها(الذوق الفني) [٦] فما يستسيغه ناقد قد لا يستسيغه آخر، والعكس صحيح، وبعض المبدعين (شعراء وناثرين) يغضبون إن لم يمدحوا، ولا يريدون أحدا يقول عنهم خطأ، وهذا ليس بأيديهم، فما أن يخرج المطبوع إلى المتلقي حتى يصبح حقا مشاعا للجميع، على المبدع أن يتقبله ويحاور فيما يجده جائرا عليه[٧] حتى نستطيع الارتقاء بالفن الأدبي، ولا يعني ذلك الضعف، بل يعني التهذيب والتجميل.

الهويمل والنقد الأكاديمي

امتهن حسن الهويمل التعليم منذ صغره، ومارس البحث والتقويم والتحليل في سن مبكرة، وقد يكون ذلك من صميم عمله،، لكنه تفرد بهذا العلم من حيث الدراسات الأكاديمية، فبعد حصوله على الشهادة الجامعية واصل دراسته العليا، منتسبا إلى جامعة الأزهر، وسجل أطروحته (اتجاهات الشعر المعاصر في نجد) وأشار في مقدمة دراسته إلى الدارسين الذين سبقوه في هذا الميدان، وكان ذلك الفريق متباينا في دراسته للشعر في المملكة ككل، وتلك الدراسات تتفاوت في نوعيتها فمنها ما هو أكاديمي بغرض الحصول على مؤهل علمي تقدم به صاحبه إلى جامعة في موطنه الأصلي[٨]، ومنهم من جمع الشعر بدافع البحث، كعمل ذاتي فقط[٩]، ومنهم من كان يلقيه محاضرات على طلابه[١٠]، ثم جمعه في كتاب...إلخ. وتلك الدراسات يغلب عليها الضعف العلمي والتخطيط المنهجي، ودقة تحري المعلومة وتحليلها،

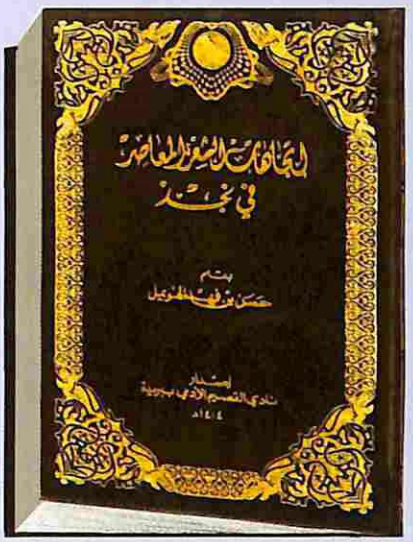

فكثير منها غلب عليها عامل الهوى والإنشائية، والحماس والاندفاع في بعض الأحيان[١١]، وهذا العمل الذي قام به الهويمل استدرك فيه الكثير من الأخطاء التي وقع فيها سابقوه، فقام بنقدها من وجهة نظر أكاديمية، يقول في مقدمة الدراسة:«ولهذا البحث.. مصادر ومراجع.. ويهمني من كل ذلك المصادر وبالأخص الدراسات التي قام بها بعض الأدباء لبعض الشعراء.. أو لجانب من الأدب في نجد.. هناك دراسات كثيرة قديمة وحديثة بعضها قصر الحديث عن نجد والبعض الآخر شمل الأدب السعودي بمختلف مناطقه. ولكي أضع القارئ أمام الحقيقة أقدم له نبذة عن أهم المراجع»[١٢].

وقد بدأ الباحث في عرض مقدمته بكتاب (شعراء نجد المعاصرون) لعبدالله بن إدريس، وقال: إنه يعد من المصادر الهامة بالنسبة لنجد ومن المراجع المظلومة، فكل من درس الشعر السعودي عامة أو الشعر النجدي خاصة أقام في مداه لا يخرج منه لغيره إلا قليلا.. ثم يتنكر له.. وإن ذكره فبسوء..

لقد قرأت بعض الدراسات التي اعتمدت على هذا الكتاب، لكن بعد أن كلفت بدراسة الهويمل في هذه المناسبة عدت إلى تلك الدراسات متصفحا إياها للتأكد من الدراسة، فوجدت ما ذكره الباحث صحيحا، فأحمد قبش اعتمد على هذا الكتاب ونقل منه وشوه ما نقل، ولم يشر إليه، وهذا يدخل في حكم السرقة العلمية، لكن الهويمل لم يشأ أن يذكر ذلك واكتفى بقوله:«فالأستاذ أحمد قبش في كتابه (تاريخ الشعر العربي الحديث)... لا أقول استفاد منه.. بل نقله بحذافيره.. ولم يشر إلى شيء من ذلك.. وهذا عنصر خطير في الأمانة العلمية..»[١٣] كما يشير الباحث إلى دراسة بكري شيخ أمين، على أن أمين أقام دراسته على هذا الكتاب، وعرض له عرضا نقديا، كما أن ابن حسين اعتمد عليه، لكنه لم يغفله من الإشارة العلمية.

والهويمل في دراسته ينقد الكتاب ويبين ما فيه من الخلل العلمي، فهو يقوم على الترجمة.. والمختارات..

بكري شيخ أمين

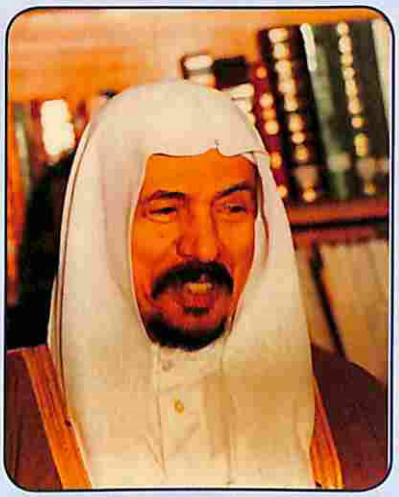

عبدالله بن إدريس

عبدالله الفيصل

والإشارة الخاطفة، كما يأخذ عليه إهماله لبعض الشعراء المحسوبين على الشعر النجدي، مثل ابن بليهد وابن خميس...إلخ، ومع اعتراف الباحث بفضل الكتاب وصاحبه، وأنه لولاه لضاع الكثير من هذا الشعر، إلا أنه يستدرك على الكتاب افتقاره إلى التركيز والوضوح.. كما أنه يفقد إلى جانب ذلك المنهج العلمي في الدراسة.. فهو يقوم على السرد العفوي الذي تمليه المناسبة.

وبجانب هذا الكتاب الذي يعتبره رائدا في مجال جمع الشعر في نجد، درس الناقد الكتب الأخرى التي تناولت الأدب في نجد، ففي دراسته لكتاب محمد بن حسين (الأدب الحديث في نجد) يستدرك على المؤلف الكثير من التجاوزات المنهجية، فالمؤلف يخلط بين الكثير من المذاهب، ومن جهة أخرى يقسم المذهب الواحد إلى قسمين، بسبب عدم معرفة الفرق بين اللغتين (الإنجليزية والفرنسية) الرومانسية، في الإنجليزية (Romance) هي الرومانتيكية في الفرنسية (Romantique) كما أن هناك تجاوزات علمية فنية فيما يتعلق بالمقارنات - غير الواردة بالطبع - مثل مقارنته الحجي بالشابي والمعري وإيليا أبي ماضي...[١٤].

وقد درس بعض الباحثين هذه التجاوزات والأخطاء المنهجية في هذا الكتاب وغيره، من مؤلفات الباحثين السابقين[١٥] لكن الحال بقيت على ما هي عليه في الكثير منها، وهذا شيء خطير في عالم الدراسات النقدية والأدبية، وسيؤثر على الجيل القادم ومن بعده، فيظنون أن هذه المعلومات صحيحة، ومع تقديرنا للشاعر / حمد الحجي، إلا أنه لم يبلغ مبلغ الشابي ولا إيليا أبي ماضي، ولا فلسفة المعري، فلكل منهم شأنه في الحياة الأدبية، ولكل منهم عصره وظروف معيشته..

لقد كانت المبالغات التي ارتكبها المؤلفون من الجيل السابق، والباحثون من الجيل الذي يليه عقدة شرك وقع فيها الجيل الذي جاء بعدهم، أي الجيل الثالث، فكنا نصدق تلك التهاويل التي قرأناها في مؤلفاتهم، مثل مشقة السفر إلى الحجاز، وصعوبة الدراسة، وندرة المراجع، وضياع الإنتاج، وما شابه ذلك، مما جعلنا نقول: إن الرجل جاء بما لم تستطعه الأوائل، على رأي المعري، وهذه أمور أراد منها أن يجعل من نفسه عملة نادرة، لكنها صارت مزيفة.

كما أن البعض ادعى أنه اطلع على كتاب ما أو ديوان ما، لكن بالبحث والتحقيق يتضح أنه لم يطلع عليه، فبكري شيخ أمين يدعي أنه درس شعر ابن بليهد، وهذا كلام عليه الكثير من التحفظ، وقد دحضه الهويمل في دراسته للشعر المعاصر في نجد، فأمين قدم دراسته في سنة ١٩٧٠م، وأول من درس ابن بليهد طالب في جامعة الأزهر في القاهرة، تقدم برسالة لنيل درجة الماجستير بعنوان:(ابن بليهد، حياته وشعره وآثاره الأدبية)، وحصل على الدرجة في سنة ١٩٧٤م، أي بعد صدور دراسة أمين في كتاب بسنتين ؟!![١٦]، وهذا يؤيد رأي الهويمل في قوله:«ذكر بعض مراجع لم يقف عليها.. والحديث عن شعراء لم يستكمل المؤلف دراسة خصائصهم»[١٧].

ولو أردنا أن نتعقب هذه المؤلفات، لطال بنا الحديث، لكننا سنقصر الحديث على واحدة من أشهرها

وأقدمها.

درس الهويمل في رسالته للماجستير الشعر المعاصر في نجد، وألقى عليه الأضواء، وعلى من درسوه من قبله، في عملية نقدية، للشعر والشعراء ومن سبقوه، وقد وقف وقفة متأنية قسم فيها الشعراء إلى فئات، منها (المحافظة) وعد منهم مجموعة من الشعراء، مثل: ابن خميس، وعثمان ابن سيار، وعبدالكريم الجهيمان، وعبدالله الجلهم، وعبدالله الفيصل..، وغيرهم.

ومن الفئة الثانية من يزاوج بين المحافظة والتجديد، وذكر منهم: سعد البواردي، وحمد الحجي، والدامغ.. وغيرهم.

وذكر من المجددين المتطرفين - على حد تعبيره - الرميح، والصالح، والحميدين، والفوزان، وناصر بو حيمد.. ثم يقول: «وجيش جرار من الشعراء الذين تعيش معهم وكأنك غريب الوجه واليد واللسان..»[١٨].

ويقف مع بعض الشعراء وقفة نقدية يعبر بها عما يراه حقا أو باطلا، وما يمكن أن يثيره في شعره من وجدان وتفاعل مع المتلقي، وما لا يثيره، أو بتعبير أدق، ما لا يحدث أثرا في نفس المتلقي، على سبيل المثال، الشاعر أحمد الصالح، المعروف (مسافر) يقول عنه: «في هذه القصيدة من الناحية الموضوعية.. وتدرج الفكر إشراق لكن تكامل الإيقاع الموسيقي لا يتكافأ مع موضوعيتها.. وقصائد الصالح كما قلت: تقوم على التفعيلة الواحدة، لكن هذا لا يكفل تواجد النغمة الحلوة والإيقاع السليم الذي تنشده الأذن العربية - ذات الذوق الرفيع...»[١٩]، وهذا رأي خاص بالناقد.

وفي تحليله لإحدى قصائد الشاعر الأمير عبدالله الفيصل، وسنأخذ بيتا واحدا علق عليه تعليقا جميلا، حيث يقول الشاعر:

خذني إليك سئمت فقد العيش في هذي الحياة

يقول الناقد: «هذا العيش الذي فقده لا يعني المواد الغذائية التي تبني خلايا الجسم وتنشط الدورة الدموية.. وتعطي الطاقة.. إنه عيش من لون آخر» [٢٠].

محمد بن سعد بن حسين

وفي هذا الصدد يعود بنا إلى التحليل النفسي للأدب، وخاصة عند الرومانسيين من الشعراء.

وسنقف - لضيق مساحة البحث عند واحد من الدارسين (عبدالله ابن إدريس) في كتابه (شعراء نجد المعاصرون)لسبب واحد، ذلك أن كتاب ابن إدريس أول كتاب تعرض لهذا الموضوع في حينه واستقى منه الكثير من الباحثين في هذا المجال دراساتهم، ونقلوا عنه الكثير بلا تحفظ.

فقد درس الهويمل هذه المصادر وعلى رأسها الكتاب الذي نتحدث عنه، وذكر من أهملهم المؤلف، وهذا أمر لا نعرف عنه شيئا إلى اليوم، وقد يكون وراء الأكمة ما وراءها ؟![٢١].

فقد ذكر الهويمل اثنين من الذين أهملهم ابن ادريس، والواقع أنهم ثلاثة، فبجانب ابن خميس وابن بليهد، هناك الشاعر عمران العمران، كما أنه أدخل الفرج من ضمن شعراء نجد المعاصرين، وخالد الفرج ولد ومات خارج نجد.

ويرى الهويمل أن ابن إدريس أسرف في الحكم على شعر عبدالله العثيمين إسرافا لا مبرر له، وإسرافه هذا من باب الثناء. وأنا لا أرى في شعر العثيمين ما يميزه عن غيره من أبناء جيله.

وأشار ابن إدريس في دراسته إلى حمد الحجي بعدم التركيز، ولم يكن حمد الحجي قد ظهرت عليه علامات المرض كاملة في ذلك الوقت، ويقول الهويمل: «أما ما أشار إليه الإدريس من عدم التركيز.. فلا أعرف ما يريد.. هل يعني تركيز الفكر إزاء الموضوع.. أو أنه يعني التركيز الفني.. لقد كان لاضطرابه أثر واضح في إنتاجه، وكم تكون مثل هذه الأمراض عاملا قويا يفجر تلك المواهب»[٢٢].

وفي الوقت الذي يتهم ابن إدريس الحجي بعدم التركيز نجد محمد بن سعد بن حسين يقارنه بكبار الشعراء في العالم العربي، مثل الشابي وإيليا أبي ماضي، ويجد عنده فلسفة المعري، فكيف يتهم بعدم التركيز عند واحد وبالفلسفة - وهي أم التركيز - عند آخر ؟!! يقول الهويمل عن هذا الأمر: إنه يحتاج إلى دراسة نفسية من مدرسة (فرويد) للتفريق بين المعري والحجي. ونحن نعلم أن الحجي شاعر مطبوع جزل الألفاظ ومعاناته النفسية شديدة، ولو استقرت حالته النفسية

لأنتج أحسن من غيره، وتدهور حالته الصحية العضوية، عدا عن النفسية أعاق إنتاجه الفني.

ويفرق الهويمل في دراسته بين الإبداع والنقد، فيرى أن الإبداع عند الشعراء يختلف عن دراسته عند النقاد: «... فالتجديد بالنسبة للشعراء غيره بالنسبة للنقاد..، وشعور الشعراء يختلف عن شعور النقاد، لأن أولئك لديهم تجارب نفسية يريدون الإفضاء بها عبر الكلمة الرامزة.. وعبر مفهوم النظم الذي طلع به الناقد العربي الكبير عبدالقاهر الجرجاني.... وكأن الهويمل يقول: إن الإبداع فن والنقد علم[٢٣].

والأديب لا يمكن أن يصنف تصنيفاً صناعياً مهنياً، فقد يجمع ما بين عدد من الفنون الأدبية، كالقصة والرواية والشعر... إلخ، لكنه يعرف بواحد منها، ولا يمكن أن يتقيد بمذهب واحد في التجربة الإبداعية، وقد تنبه إلى ذلك الكثير من النقاد القدامى والمحدثين في العالم، فالمذاهب أشكال مرنة متقاربة متداخلة في عدة نقاط.

«إن القصيدة السياسية الهجائية، بالفعل، تجمع بين موضوع الحب وموضوع السياسة [٢٤]. إن هذه التسميات والألقاب التي أطلقها النقاد على الإبداع لا تمثل في الحقيقة مسار وتوجه المبدع، قد تمثله في إصدار واحد (قصيدة منفردة أو رواية أو قصة قصيرة) لكنها لا تمثل كل إنتاجه الأدبي، فقد يكون رومانسيا في قصيدة، وكلاسيكيا في أخرى، ووطنيا في ثالثة..إلخ. وقد حاول الهويمل في دراسته هذه أن يتخلص من بعضها، لكنه أخذ بالعموم، متأثرا بالدراسات السابقة ومقاربا - إلى حد ما - بين هذه المذاهب التنظيرية، وقدانتبه إلى

حمد الجاسر

شيء من هذا كما أسلفنا.

وقبل أن نطوي صفحة نقد الهويمل للدراسات الأدبية، وآراءه في الشعر المعاصر في نجد نأتي إلى بعض البحوث التي عقبت عليه وعلى هؤلاء الباحثين، وكان من أبرز هذه الدراسات دراسة قام بها الدكتور عبدالله الحامد، على شكل ملاحظات، أورد الهويمل جلها في بحثه الأكاديمي، وتغاضى عن بعضها.

واتهم عند البعض بالمجاملة، يقول أحمد المهوس، إن الدكتور الهويمل استوحى فكرة رسالته للدكتوراه من كتاب ابن ادريس. والحقيقة أن الذي استوحاه لدراسة اتجاهات الشعر المعاصر في نجد، كان موضوع رسالة الماجستير، وليس الدكتوراه، فموضوع الدكتوراه التي يقول المهوس أنه اطلع عليها! كان عن (النزعة الإسلامية في الشعر السعودي) ولم ينقد فيها كتاب ابن ادريس ولا غيره.

وينقد المهوس دراسة الهويمل من خلال دراسة الحامد عن ابن ادريس، وهي آراء متطابقة كررها المهوس عن الحامد وحول وجهتها من ابن ادريس مباشرة إلى الهويمل، وكثير من النقد الذي وجهه للهويمل، على أنه أهمل تلك النقاط المهمة في كتاب ابن إدريس معظمها موجود في كتاب الهويمل[٢٥].

وللهويمل آراء في الشعر الشعبي، فهو يرى أنه تراث إقليمي، ويختلف مع الأستاذ حمد الجاسر في تعريفه وتدليله على الشعر العامي، على أنه هو الشعر العربي القديم؛ يقول الجاسر: «والشعر العامي في الجزيرة هو الشعر العربي القديم باختلاف في طريقة التعبير.. وهو اختلاف أتى من مؤثرات خارجية». ويعقب الهويمل على هذا الرأي بقوله:« ومع أنني أومن بأن الجاسر ينزع من قاعدة علمية غزيرة في مختلف المعارف.. وأغزر فيما يخص الجزيرة العربية.. فإنني أرتاب بصحة هذا الرأي»[٢٦].

ويرى الهويمل أن للشعر العامي من الخصائص مثلما للشعر العربي إلا أن العامي لا يرضى بقبول العربية الخالصة ولا يأنس برفعها.. وخفضها.. ونصبها.. والذين يقرؤون الشعر العامي

بالعربية ينزعون منه جرسه الموسيقي.. ويرى أنه شعر مغنى سماعي.

وأنا أرى أن الشعرالعامي شعر إقليمي لا يفهمه إلا من يدرك معاني مفرداته، ولا يشترك في خصوصيات الأمة العربية، وسيبقى له دوره في المجتمع العربي الصغير.

وللهويمل رأي في الحداثة، فإذا كانت الحداثة تعني التجديد والتطوير، فهو من روادها ومحبيها، وإن كانت تعني انحراف الفكر وتقليد الثقافات الخارجية، فهو ضدها، يقول: «حتى هذه اللحظة لم يستطع الحداثيون أن يؤصلوا مصطلح (الحداثة) وأن يحددوا مفهومه ومقتضاه، ولذلك نجد أن كثيراً منهم يتحدث عن الحداثة بوصفها مرحلة من مراحل التجديد المقبول والطبيعي، ويرى الحداثي بهذا القول أنه يعبر عن موقفه، وإذا دخلت معه في جدل حول مفهومه المتناقض للحداثة، فستجد أن هناك موالاة للحداثة المنحرفة فكرياً، والساقطة أخلاقياً، وستجد تضارباً بين رؤيته وبين ما يقوله.. ومن هنا فإن الإشكالية التي نعيشها في المملكة بالذات أن الذين يتبنون الحداثة يستغلون مراوغة المصطلح بين الجذر اللغوي والمقتضى المصطلحي، وبين المفهوم التجديدي، والمفهوم الفكري الذي يتبناه أساطين الحداثة مثل أدونيس ويوسف الخال وغيرهما.»[٢٧].

■ يتفق الهويمل مع الرأي الذي يقول: إن الحداثة مصطلح مراوغ استغله بعض المنظرين لغاياتهم.

وقد أكد الكثير من الباحثين في الحداثة العربية هذه الآراء على أن مصطلح الحداثة مصطلح مراوغ بالفعل[٢٨]، استغله بعض المنظرين لصالحهم في موضوع الأدب والنقد، وكيفوه على حسابهم، وهذا ما قصده الهويمل ■

الهوامش:

(١) انظر منتدى عربيات (ماذا تعرف عن هؤلاء، د. حسن الهويمل).

(٢) انظر: المجلة العربية، عدد شهر ربيع الثاني ١٤٢٢هـ.

● ترك محمد علي السنوسي خمسة دواوين شعرية (القلائد، والأغاريد، والأزاهير، والينابيع، والنفحات) أعاد نادي جازان الأدبي نشرها مجتمعة في ديوان واحد، سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، كما ترك كتاب نثر بعنوان: (مع الشعراء).

٣ - المجلة العربية، العدد السابق.

٤ - يذكر من الذين حاورهم من العلماء: الدكتور محمد أبو شهبة، الذي دخل معه في جدل حول الإسرائيليات في التفسير، والدكتور سعيد يقطين، الناقد المغربي، وآخرين. انظر المجلة العربية، العدد السابق.

(٥) انظر: أحمد عبدالعزيز المهوس(حسن الهويمل ناقدا) مجلة الجزيرة، عدد ٧٩، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٦) للناقد محمد بن طباطبا رأي في الذوق الفني، انظر: (عيار الشعر)، ص١٥، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام والدكتور طه الحاجري، القاهرة، ١٩٥٦.

(٧)انظر منتدى عربيات، مصدر سابق، ص٤.

(٨) بكري شيخ أمين (الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية) رسالة دكتوراه، صدرت في كتاب عن الرئاسة العامة لتعليم البنات في طبعته الأولى ١٩٧٢م.

(٩) عبدالله بن إدريس (شعراء نجد المعاصرون) جمع وتحليل، صدر في القاهرة، ١٩٦٢م.

(١٠) عبدالله عبدالجبار.(التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب) القاهرة، ١٩٥٩م.

(١١) محمد بن حسين (الأدب الحديث في نجد)، الرياض، ١٣٩١هـ/١٩٧٩م.

(١٢) حسن الهويمل (اتجاهات الشعر المعاصر في نجد)، ص٩، النادي الأدبي في منطقة القصيم، ١٤٠٤هـ.

(١٣) المرجع السابق، ص١٠.

(١٤) المرجع السابق، ص١١.

(١٥) انظر، دراسة الدكتور: عبدالله الحامد (نقد على نقد)، ص١٠١، نادي القصيم الأدبي، بريدة ١٩٨٨م. وانظر، بحثنا المقدم في مؤتمر النقد الدولي بعنوان:(نقد النقد، الآليات والرؤى)، جامعة اليرموك،الأردن، صيف ٢٠٠٦م.

(١٦) هذا الطالب، اسمه عبدالعزيز سليمان الفاضل، حصل على الماجستير من جامعة الأزهر في ١٩٧٩م.

(١٧) حسن الهويمل مصدر سابق، ص١١.

(١٨) المصدر نفسه، ص٩١.

(١٩) المصدر نفسه، ص٢٥٤.

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢٣٣.

(٢١) هناك رسالة بعث بها عبدالله ابن إدريس إلى الدكتور عبدالله الحامد، عندما اطلع على البحث الذي نقده فيه لإهماله ابن خميس، حاول المؤلف أن يبرر موقفه تجاه ابن خميس، وقال: إنه زاره في بيته وطلب منه شعرا وسيرة ذاتية، ووعده فلم يف، ويتضح من الرسالة التي بعث بها ابن ادريس أن هناك خلافا شخصيا بينهما، علمه عند الله. انظر عبدالله الحامد، نقد على نقد، ص٩١-٩٢، مصدر سابق.

(٢٢) حسن الهويمل، ص٢٢٢، و ٢٤٠، و ٢٥٠، و ٢٦٦، مصدر سابق.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٩٦.

(٢٤) انظر، نظرية الأجناس الأدبية، ص٦٨، تعريب عبدالعزيز شبيل، مراجعة حمادي صمود، النادي الأدبي الثقافي بجدة، كتاب رقم ٩٩.

(٢٥) انظر مجلة الجزيرة، عدد ٧٩، مصدر سابق، وانظر عبدالله الحامد، نقد على نقد، من ٨٣-٩٩.

(٢٦) الهويمل، ص٢٦، مصدر سابق.

(٢٧) انظر جريدة اليوم، عدد ١١٧٩٦، الثقافة.

(٢٨) انظر، سلطان سعد القحطاني (النقد الأدبي في المملكة العربية السعودية، نشأته واتجاهاته) ص١٧٦، النادي الأدبي في الطائف، ٢٠٠٣م.